الجزء الثاني

عوائد الاستثمار

المقدمة

الحمد لله الذي كرَّم من خلقه الإنسان، وبين له طريق الخير والإيمان، ويسّره له وجزاه باتباعه أشرف الجنان، وزيّنها له، وخلق له فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب إنس ولا جان. وأصلي وأسلم على من جميع خير الخصال والشمائل الحسان، سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

وبعد ..

فإن من أعجب الأمور أن يسمع سامع عن الجنة وما أعد الله فيها ثم لا يحرّكه داع الشوق إلى العمل لها والوصول إليها.

يسمع عنها صحابة رسول الله ومن تبعهم من السلف الكرام فيصبحون ويمسون وليس لهم هاجس إلا نيلها وطلب نعيمها.

ونسمع عنها، ونتيقّن من وجودها، ونؤمن بها، ثم نضرب الذكر صفحًا عنها.

غفلنا عن تخيّلها فغابت عن الأذهان، وما كان بعيدًا عن الذهن فهو منسيّ.

كيف نصحو من غفلتنا . . كيف نسمع كما سمع ذلك الجيل الفريد ونبصر ببصائرهم . . كيف نسمع عنها فلا نتحرّق شوقًا إليها كما يتحرّقون، ونذوب لرؤيتها لهفًا وحبًا كما يذوبون؟

إن رسول الله ﷺ، حينما جاء بهذا الدين العظيم، ووعد متّبعيه بالجنان، كانت قلوبهم خاوية من علائق الشهوات، مصقولة من شوائب الأدران، سليمة من الآفات. فحريٌّ بمن سمع منهم ما يمنّيهم به الرسول الكريم أن يُلقوا ما بأيديهم ليتّبعوه. كذلك الصحابي الذي رمى بتمرات كان يأكلها قائلاً: بخ بخ، ما بيني وبين الجنة إلا هذه التمرات فألقاها وذهب للجهاد فقاتل وقتل.

لقد نصب الصحابة الجنة في أذهانهم هدفًا لا يفارقهم، ينظر أحدهم إليه إذا عمل، وينظر إليه إذا قام أو نام، ها هو حارثة رضي الله عنه سأله رسول الله ﷺ: «كيف أصبحت يا حارثة؟» قال: أصبحت مؤمنًا حقًا: قال: «انظر ما تقول فإن لكل قول حقيقة فما حقيقة إيمانك؟» قال: عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري، وكأني أنظر عرش ربي بارزًا، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وكأني أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها قال: «يا

حارثة عرفت فالزم»[١].

فإذا جسّد المرء الهدف الذي يعمل له تجسيدًا حسنًا وزيّنه في مخيّلته، كان حافزًا له على العمل، وباعثًا له على الإقدام، وإلا كان خبرًا غائبًا عنه، والإنسان بطبيعته يميل إلى ما يراه أكثر مما يسمع عنه، وقد قال ﷺ: «ليس الخبر كالمعاينة، إن الله تعالى أخبر موسى بما صنع قومه في العجل فلم يلقِ الألواح، فلما عاين ما صنعوا ألقى الألواح فانكسرت»[١] ولم يكن موسى عليه السلام مكذبًا بما أخبره به ربه عَزَّ وَجَلَّ وحاشاه، ولكنّ وَقْع الخبر عليه إذْ سمعه، لم يكن بقوة تأثيره عليه إذْ عاينه. والجنة خبر من الأخبار لا يمكن رؤيتها في الحياة الدنيا وإلا لما بقي على وجه البسيطة كافر، وتلك حكمة الله سبحانه في إخفائها.

أرأيت كيف أن بعض المتاجر والشركات تعمد إلى اختيار (سيارة) جميلة المنظر، فارهةً، برّاقة، فتضعها أمام أبوابها مكافأة لمن يفوز في مسابقاتها بدلاً عن الإخبار عنها، حتى إذا رآها الناس

---

(١) الهيثمي، مجمع الزوائد ورقمه ٩٨١ وفيه يوسف بن عطيّة وهو متروك. ولكن الحديث يُستأنس به في هذا الشأن فإن صحابة رسول الله ﷺ كان هذا دأبهم في العزوف عن الدنيا والنظر بعين البصيرة إلى عظمة ربهم عزّ وَجَلَّ وإلى جنته وناره.

(١) رواه أحمد في مسنده ١/ ٤٤٣ - ٢٤٥١ وصححه الألباني في صحيح الجامع ورقمه ٥٣٧٤.

تكالبوا على المتجر للشراء عسى أن يكون الفوز حليف أحدهم(*).

ولما كانت الجنة مكافأة مؤجلة، فإن على العامل أن يراها بقلبه ويضعها نصب عينيه ليحفّزه ذلك على نوالها، وإلا أصابه الفتور، وأقعده الكسل، فإنها لما غابت عن الأبصار، رآها المتقون بالبصائر كما في حديث حارثة السابق ﷺ. وكلما تقرّب العبد إلى الله تكشّفت له تلك الغيبيات فرآها ببصيرته، لذلك فهو يعبد الله كأنه يراه(١). فمن أهم الأمور تعريف الجنة ورسم صورة متكاملة لها في الخيال وخاصة بعد الفراغ من قراءة هذا الكتاب، وتدعيمها بعناصر مشاهَدَة لدى المتخيّل كي يقربها منه ويربطها بحواسه، ولذلك أكثر الله تعالى من تعريف الجنة ووصفها في كتابه الكريم وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝٦﴾ (محمد: ٦)، قال الزمخشري: حددها لهم، وقال غيره عرفها لهم مرارًا ووصفها، ويحتمل المعنى تعريفها من باب تعريف الضالة(٢). وقد استعان الرسول ﷺ في وصف الجنة بعناصر من الدنيا لتقريبها للسامع كقوله للأعرابي وهو يصف له شجرة طوبى: «تشبه شجرة بالشام تدعى الجوزة تنبت على ساقٍ واحدة

(*) وهذا الأسلوب نوع من القمار والميسر حذر منه العلماء فانتبه يا رعاك الله.
(١) أما التفكر في الله فلا يكون في ذاته ولكن تتضح عظمته في التفكر في مخلوقاته.
(٢) انظر تفسير القرطبي والرازي ولها معانٍ أخرى محتملة.

وينفرش أعلاها» وكقوله وهو يصف له عِظَم حبّة العنب في العنقود: «هل ذبح أبوك تيسًا من غنمه قطّ عظيمًا» قال نعم، قال: «فسلخ إهابه فأعطاه أمك وقال اتخذي لنا منه دلوًا؟»(١) وبين له أن عِظَم الحبة من العنب كعظم ذلك الدلو.

فمن الأسباب المساهمة في عزوف الناس في عصرنا الحديث عن تذكر الجنة والعمل لها، عدم رسم صورة صحيحة متكاملة عنها في الأذهان، وذلك بعد أن تطاول العهد وبعد الزمان، وبعد أن تراكم الران على القلوب، وغلّفتها الشهوات، وأسقمتها المعوقات والنزعات، وبعد أن سكن الناس المنازل الفاخرة، والقصور الباهرة، وبعد أن أضحى العالم كله قرية صغيرة، رأى الناس جنان الدنيا كألمانيا وأمريكا وماليزيا وجزر هاواي وغيرها. ودخلت بيوتهم تلك الوسائل التي تعرض لهم أبهى الصور وأجمل المناظر.

أقول ومع ضعف إيمانهم، واسترسالهم في الملذات آثروا المكافأة العاجلة على الجائزة المؤجلة، وأخذوا ينظرون إلى الجنة بعين الممتلئ الشَّبِعْ، الذي آثر الراحة بعد التُّخمة، فلو رحت تُمنيهم بالقصور قالوا: عندنا، وبالأنهار والعيون، قالوا: رأينا، وبالبساتين والظلال، قالوا: ما أكثرها، أو حتى بالنساء الحسناوات قالوا:

(١) سيأتي تخريجه في فقرة الشجر والثمار.

مللناهن. إذ كيف لمن ملأ جوفه بلذيذ الطعام أن يفكّر في غيره ولو كان أطيب منه، وكيف لمن تشبع من شهواته أن يفكّر في غيرها حال شبعه. أضف إلى ذلك أن حرارة الإيمان بالله تعالى والشوق إلى لقائه والطمع في جواره، تضعف وتبرد بقدر إغراق الإنسان في دنياه ونسيانه لأخراه.

لعل ذلك يفسّر كيف كان صحابة رسول الله ﷺ ينظرون إلى الجنة ويشمرون لها، وكيف ينظر إليها نَفرٌ منّا ويعزف عنها.

لقد كانوا ينظرون إليها على أنها مقعد صدق في جوار كريم، هو جوار الملك الواحد العظيم سبحانه وتعالى، وبعد ذلك كانوا ينظرون إليها بنفوس خاوية من الشهوات، وعيون لم ترَ الملذّات قياسًا لما نحن فيه، وقلوب متعطشة إلى ينابيع الهدى.

لعل من آثر العاجل نسي نفاسة الآجل، وظن أن ما هو فيه مثل ما مُنّي به بعد أمد لا يعلم منتهاه.

لقد أغرت المدنيّة الحديثة كثيرًا من الناس، بهرت أبصارهم زخارفها، وأخذت بمجامع قلوبهم مفاتنها، حتى انساق وراءها الكثيرون مع أنه لا سبيل إلى مقارنة نعيمها بنعيم الجنة.

ها هو سن الشباب، تلك المرحلة الذهبيّة، والفترة الفتيّة من عمر الإنسان، والأطباء يسعون جاهدين في صنع العقاقير لإطالته،

فكم يتمنّى كل شاب أن تقف عجلة الزمان به، والشيخ ينظر إليه كحلم جميل ويتمنّى أن يعود الزمن به إلى الوراء.

ها هو عصر التقدم والترف الماديّ، والاكتشافات والاختراعات يعجز عن توفير أهم سبل الراحة .. إنه الأمن والأمان، فالغني يخاف على ثروته الضياع، والأب يخاف على أبنائه المصائب والكوارث، ورب المنزل يخاف عليه السرقات، والصحيح يخاف المرض، والمريض يخاف الموت .. خوف .. خوف أينما توجهت، وكلما كثر المال والمتاع كثر الخوف والرعب.

لقد توفرت جميع أنواع الملذات لأصحابها إلا أن كل لذّة يشوبها شائبة، فهذا يسبب السرطان، وهذا يرفع (الكلسترول) وذلك يزيد من معدّل الضغط، وذاك يجلب الإيدز والزهري والهربز أعاذنا الله.

وقد توفرت جميع سبل الراحة ولكن كثرة الراحة تجلب الخمول وتؤدي إلى السمنة والبطالة وتجلب الأمراض حتى أصبح المرء إذا أكل قال: (بسم الله الذي لا يضرّ مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء) لخوفه من مضرّة تلك الشهوة وإذا خرج للسياحة تعوذ بالله من شر كل ذي شر .. متاع يشوبه الهمّ والغمّ ويخالطه الخوف والهلع، إلا من أنعم الله عليه بالقرب منه والفرار إليه.

هل استطاعت المدنيّة الحديثة في ظل الجنان الوارفة والمناظر الخلّابة، وسهولة الحياة، أن تزيح عن كواهل أصحابها شبح الخوف، أو أن تؤمن لهم حياة بدون مرض، أو مجتمعًا بدون جريمة، أو ترفًا لا فقر بعده، أو شبابًا لا هرم يعقبه ولا موت يفنيه، ما أقصر هذه الحياة الدنيا التي يحرص الناس على تحصيل كل ما يشتهون فيها وهي لا تساوي في عمر الجنة لحظات.

إن الرجل في الجنة ليعانق زوجته عمر الدنيا، وإنه لتوضع المائدة بين يديه فلا ينقضي شبعه عمر الدنيا، وإنه ليضع الإناء علي فيه فلا ينقضي ريّه عمر الدنيا(١).

فلنصحُ من غفلتنا، ولنفقْ من رقدتنا قبل أن يفوت الأوان ويسبق السابقون إلى الجنان، ويبقى من ينظر في حسرة يقول: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ (المؤمنون: ٩٩ – ١٠٠)، ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الزمر: ٥٨).

والسلام

(١) يؤثر مثل ذلك عن ابن عباس انظر بستان الواعظين ورياض السامعين لابن الجوزي، ص ١٣٦.
يؤيده قول الرسول ﷺ: «إن الرجل في الجنة ليتكئ في الجنة سبعين سنة قبل أن يتحول . . . » انظر الحديث في فقرة الحور العين والغلمان، وقول سعيد بن جبير: «إن شهوته لتجري في جسده سبعين عامًا يجد اللذة» ألا تعدل هذه اللحظات عمره في الدنيا . .؟، وقول سعيد عزاه الزبيدي في تخريج الإحياء ٤٢١٧ لابن أبي شيبه بلفظ (جسدها) بدلاً من (جسده).

عوائد الاستثمار

أخي المسلم كيف بك إذا عُرضت عليك قطعة أرض في أجمل بقاع الدنيا .. أرض تتخللها أنهار جارية تنثر في أرجائها رذاذ المسك والطيب .. أرض تزينها الحدائق الغنّاء ذات الأشجار السامقة، والظلال الوارفة، والنخيل الباسقة، والخضرة المتراكبة، والثمر الناضج، والفواكه اللذيذة؟!

لعلك تتنهّد وتقول ليت لي أرضًا في ذلك المكان، ولو كانت مترًا أو بضعة أمتار، فإنها في متناول يديك، وإن الله قد وعد كلاً من عباده المؤمنين بها، بل وأقطعهم منها المساحات الشاسعة المترامية الأطراف، وأوقف عليها عمالاً من الملائكة يبنون، وليتك ترى مواد البناء، إنها لبنات الزبرجد والياقوت وملاطها، وهو الذي في مقام الأسمنت أو الطين – هو المسك الخالص، فما عليك إلا أن توفر ثمنها، وإن ثمنها دون ما تتصور بكثير، فلن تنفق في سبيلها الملايين ولن تضطر إلى الاقتراض من البنوك، أو تلجأ إلى امتلاكها بالتقسيط. إنه فقط مخزونك من الحسنات، فإن أردت بنيت بين

تلك الخضرة الجميلة، والماء الرقراق خيامًا من اللؤلؤ المجوّف مجَهزة بما فيها من الفُرُش والحور الحسان، وإن شئت بنيت الغرف شفافة كالزجاج يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، مطلة على البساتين والأنهار، فإذا اتكأت على أريكة بها تشعر وكأنك وسط البستان وحولك الخضرة والماء، لا يعكّر صفوك عيون مارة أو تجسس المتطفلين، وإن أردت المزيد فلك أن تشيّد القصور المنيفة والمباني الشامخة، على مداخلها صفوف الورد والريحان، حتى إذا دلفت إليها مشيت بين سماط الملوك والولدان المخلدون المصطفون لتحيّتك وتلقّي أوامرك، فإذا دخلت استقبلتك الحور العين والغيد الحسان. قصورٌ تُبنى من أصناف الجوهر كله، فقصور من ياقوت وأخرى من زمرّد وأخرى من زبرجد، وأخرى من ذهب وأخرى وأخرى، فَتَبْني هنا، وتَبْني هناك قصرًا تسكنه اليوم، وقصرًا تقيل فيه غدًا، وقصرًا لبعد غد، تتنقل بين القصور والغرف والخيام، فلا تمل ولا تسأم، فحياتك في متاع متجدد، ونعيم ما مثله نعيم، فاختر لنفسك، وابنِ، وأكثرْ من البناء، فإن دور الجنة وقصورها تُبنى بالذكر والعمل الصالح. هلمَّ أخي الكريم نعاين معًا ذلك الموقع عن قرب.

موقع الاستثمار

هناك .. فوق طبقات الجو المتراكبة.. فوق السموات السبع ..، حيث لا تظلك سماء، ولا تقلّك أرض، ولكن تقلّك الجنة، ويظلك عرش الرحمن قال تعالى: ﴿عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عندها جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾﴾ (النجم: ١٣ ، ١٥).

وقال ﷺ: «فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، أراه قال: وفوقه عرش الرحمن - ومنه تفجر أنهار الجنة»(١).

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب درجات المجاهدين في سبيل الله: فتح الباري: (٦ / ١١).

الطريق إليها

أخي الكريم. قل لي بربك، كم تعبت وشقيت في هذه الدنيا لتستقر بضع سنين في بيت عمّرته للخراب، وبنيته للدمار. كم أنفقت وبذلت كي تستريح في الدنيا بقية عمرك الفاني .. أكان الطريق إلى تلك الراحة القصيرة الأمد، المشوبة بالأنكاد ممهدًا وسالكًا؟ .. كأني أرى صدرك تنطلق منه زفرة طويلة، يحدثني أن لم يكن سالكًا ولا ممهدًا، لقد كان وعرًا مخيفًا.

انظر إلى بداية حياة كثير من الأغنياء .. ترى العجب .. فهذا كان بناءً بسيطًا يحمل الطوب على ظهره، وتغوص قدماه في الأسمنت والطين ثم أضحى مقاولاً بسيطًا، ثم ذاع صيته واتسعت دائرة أعماله حتى امتلك الشركات والمؤسسات، وذاك كان صاحب (بسطة) صغيرة يجلس على الرصيف طوال يومه يحرّج على بضاعته ليشتري منه هذا وذاك، فيفرح بدرهم أو درهمين حتى جمع بعض المال وامتلك حانوتًا صغيرًا، ثم توسعت تجارته ليمتلك المراكز والأسواق الكبيرة.

هذا معن بن زائدة الرجل الغني المترف، يدخل عليه أحد الأعراب فيذكره بحاله التي كان عليها في بداية حياته فيقول له:

أتذكر إذ لحافك جلد شاة ... وإذ نعلاك من جلد البعير
فسبحان الذي أعطاك ملكًا ... وعلَّمك الجلوس على السرير

ولو كنت منصفًا كمعن لقلت كما قال: نعم أذكر ذلك ولا أنساه.

عجبًا لك يا ابن آدم كيف إذن تنال الدنيا بعد هذا الجهد الجهيد وتريد أن تحوز على نعيم الجنة التي لا تبيد دون عناء أو تعب.

كيف تستمرئ التعب والنصب، وتستلذّ الصبر للحصول على لذّة عابرة، أو شهوة زائلة، ثم لا تصبر على المشقة، ولا تتقبل التعب للحصول على اللذة الدائمة والشهوة المستمرة، ألم تسمع قول الشاعر:

ومن قلّ فيما يتقيه اصطباره ... فقد قل فيما يرتجيه مُناهُ

فلا تظنن أن الطريق سالك وممهد، ولا تحسبنه مفروشًا بالورد والزعفران .. ولكن إذا وصلت إليها فليس بعد ذلك إلا السعادة .. إلا النعيم .. إلا الراحة الأبدية.

هنيئاً لمن سبق

إذا نُفخ في الصور وقام الناس من قبورهم في فزع، فإن فريقًا من الناس[١] لا يصيبهم ذلك الفزع، ينفضون التراب عن أنفسهم يقولون: الحمد لله الذي أذهب عنّا الحَزَن يحشر الناس حُفاة عراة منهم من يُسحب أو يمشي على وجهه عياذًا بالله ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ (الإسراء: ٩٧)، ومنهم من يمشي على رجليه وهؤلاء يحملون على النجائب[٢]، عليها رحال الذهب وأزمتها الزبرجد، فيقعدون عليها حتى يقرعوا باب الجنة، يركبون وغيرهم مشاة، يُكسون وغيرهم عراة[٣]. يرتوون وغيرهم عطشى، يستظلون تحت العرش وغيرهم تلفعهم الشمس الحارقة، ويدخلون الجنة ويسبق بعضهم إليها قبل الناس بأربعين سنة، والناس في أرض المحشر يعانون الظُلمة والخوف، تدنو الشمس من رؤوسهم، يُمحى نورها ويضاعف حرّها عشر سنين[٤] فيقاسون حرارتها، يتضورون جوعًا، أجوع ما كانوا

(١) فريق المقربين وأولهم فقراء المهاجرين (٢) النوق البيض.
(٣) انظر القرطبي، كتاب التذكرة، ٢٠١ - ٢٠٤.
(٤) انظر كتاب السنة للحافظ الشيباني، حديث رقم ٨١٣، ذكر الألباني أنه صحيح على شرط الشيخين.

عليه قط، ويتلمظون عطشًا أعطش ما كانوا عليه قط، وقوفًا ينتظرون فصل القضاء، فينتظرون وينتظرون أربعين سنة وقيل أكثر من ذلك، والجليل لا يكلمهم كلمة واحدة، ولا يعبأ بهم. حتى يبلغ بهم الخوف والحرّ مبلغه فيذهبون إلى آدم يستشفعون به عند الله فيقول: نفسي نفسي، اذهبوا إلى نوح ثم يذهبون إلى الأنبياء واحدًا بعد واحد وكل يقول نفسي نفسي حتى يذهبون إلى محمد ﷺ فيستأذن ربه فيُؤذن له في ذلك المقام المحمود فيسجد عند العرش ويستشفع للناس عند ربه أن يأتي جلّ جلاله لفصل القضاء فينزل المولى عز وجل في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي وتنصب الموازين، ويبدأ الحساب فيمكثون في ذلك الموقف يحاسبون على قدر ذنوبهم في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة[١] فهنيئًا لمن سبق.

(١) للإفادة انظر صحيح حادي الأرواح لابن القيم ص ٢٧٨ -- ٢٨٢، وانظر صحيح الترغيب والترهيب حديث رقم ٧٤٩ وانظر المستدرك للحاكم برقم ٢٤٣٠ وهو حديث صحيح على شرط الشيخين وذكره الألباني في صحيح الجامع برقم ٩٦ .

الأبواب تفتح لك

في الصحيحين: «في الجنة ثمانية أبواب فيها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون» (١)، وفي الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أنفق زوجين في سبيل الله من ماله، دعي من أبواب الجنة، وللجنة ثمانية أبواب فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان» (٢).

وفي حديث الشفاعة الطويل: «فيقول الله يا محمد: أدخل من لا حساب عليه من أمتك من الباب الأيمن، وهم شركاء الناس في الأبواب الأخر» (٣).

فهذا دليل أن في الجنة ثمانية أبواب رئيسية سوى الأبواب الداخلية في جميع الجنان وبعض أسماء هذه الأبواب هو باب

---

(١) صحيح البخاري ورقمه ٣١٧٨.
(٢) صحيح مسلم، ورقمه ٢٣٢٤ .
(٣) حديث طويل في صحيح البخاري برقم ٤٥٩٤ .

الريان وباب الصلاة وباب الجهاد وباب الصدقة وباب للسبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب، وباب لبقية أمة محمد ﷺ وجميع الأمم السابقة.

وقد عدّد القرطبي في كتاب التذكرة أكثر من ثلاثة عشر بابًا منها باب لبر الوالدين وباب للراضين وباب للكاظمين الغيظ فقد تكون أبواب الجنّة هي المقسّمة على أعمال البرّ.

وأبواب السور هي المذكورة في حديث الشفاعة والله أعلم.

وقد سأل الصدّيق رضي الله عنه رسول الله ﷺ أن هل يُدعى أحد من تلك الأبواب كلّها فقال ﷺ: «نعم وأرجو أن تكون منهم»

فما مغزى الدّعوة من تلك الأبواب كلّها؟ ولماذا لا يكُتفى بأحدها ما دامت كلّها موصلة إلى الجنة؛ إذن لا بد أن هناك ميزة خاصة لمن ينال ذلك الفضل، ويحوز على ذلك الشرف.

شرف الدعوة من جميع الأبواب إذ الدخول من هذه الأبواب هو مُتعةٌ في حد ذاته ففي كل واحد من النعيم ما يميّزه عن غيره.

فالله نسأل أن ينالنا وإيّاك ذلك الفضل.

الأبواب وسعتها

ورد في الحديث المتفق على صحته: «والذي نفس محمد بيده: إنما بين المصراعين من مصاريع الجنة، كما بين مكة وحمير، أو كما بين مكة وبصرى»(١)، وعن حكيم بن معاوية أن رسولَ الله ﷺ قال: «إن ما بين المصراعين في الجنة مسيرة أربعين سنة، وليأتين عليها يوم، وهو كظيظ من الزحام»(٢).

فلأبواب الجنة مصاريع تفتح وتغلق وهي عظيمة السعة فقد ورد أن ما بين المصراعين مسيرة أربعين سنة وورد أنه كما بين مكة وهجر وهذا التفاوت لتفاوت اتساع الأبواب وأوسع الأبواب هو باب أمة محمد ﷺ.

قال قتادة رضي الله عنه في صفة الأبواب: أبواب يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، تتكلم وتكلّم وتفهم ما يُقال لها، انفتحي، انغلقي، وللأبواب حلَق فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أول من يأخذ بحلقة باب الجنة ولا فخر»(٣)

(١) صحيح البخاري ورقمه ٤٥٩٤.
(٢) جزء من حديث في صحيح مسلم ورقمه ٧٢٨٤.
(٣) رواه أبو نعيم ٢/ ٢٨، ١٨٢ وقال المحقق إسناده صحيح على شرط مسلم وروى نحوه الدارمي وغيره له شواهد كثيرة في الصحيحة للألباني.

وفي حديث الشفاعة الطويل من رواية بن عيينة عن علي بن يزيد عن أنس قال: قال ﷺ: «فآخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها»(١) وهذا صريح في أنها حلقة حسيّة تحرك وتقعقع، وبما أن الجنان بعضها فوق بعض فالأبواب الثمانية بعضها فوق بعض وأعلاها أوسعها(٢).

وجاء في وصف الأبواب عمومًا أنها مفتّحة قال تعالى: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ (٥٠)﴾ (ص : ٥٠)، وهذا يكون يوم القيامة إذا جاءها المؤمنون استقبالاً لهم وترحيبًا وهي تفتح كل رمضان قبل يوم القيامة ولأسباب أخرى منها ما قاله ﷺ: «من توضأ فأحسن وضوءه، ثم رفع نظره إلى السماء، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، فتحت له ثمانية أبواب من الجنة، يدخل من أيها شاء»(٣).

إن قوله تعالى: ﴿مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ يُشعر بالأمان فليس هناك ما يستدعي الإغلاق ومفتحة صيغة مبالغة من مفتوحة فليس هناك كشف للعورات أو خوف من عيون الفضوليين أو تلصص المجرمين.

---

(١) سنن الترمذي ٨ / ٥٦٦ ورقمه ٦٢٦١ وصححه الألباني .
(٢) ابن القيم، حادي الأرواح، ص ٤٩ – ٥٠ بتصرف يسير .
(٣) رواه أحمد في مسنده برقم ١٧٠٣٦ وروى نحوه مسلم في صحيحه برقم ٥٠٦ .

(وأيضًا فإن تفتيح الأبواب لهم إشارة إلى تصرفهم وذهابهم وإيابهم، وتبوئهم في الجنة حيث شاءوا، ودخول الملائكة عليهم كل وقت بالتحف والألطاف من ربهم، ودخول ما يسرّهم عليهم كل وقت ..)[١].

المسافة بين الأبواب:

ورد في الحديث عن أبي الأسود عن عاصم بن لقيط بن عامر خرج وافدًا إلى رسول الله ﷺ قال: «قلت يا رسول الله فما الجنة والنار؟ قال لعمر إلهك إن للنار سبعة أبواب ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عامًا وأن الجنة ثمانية أبواب ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عامًا»[٢].

درجات الجنة:

للجنة درجات بعضها فوق بعض وما بين كل درجة والتي تليها مسيرة خمسمائة عام كما بين السماء والأرض وكما بين الكرسي والعرش كما بينت ذلك الأحاديث مع اختلاف المسافة في بعضها ويردّ ذلك ابن القيم رحمه الله إلى اختلاف قوة السير للراكب والماشي.

---

(١) ابن القيم، حادي الأرواح، ص ٤٥ .

(٢) جزء من حديث في مسند الإمام أحمد ورقمه ١٥٨٩٧ .

وقد وضحّ الرسول ﷺ بُعد المسافة بين كل درجة وأخرى في الحديث الصحيح بأن أهل الجنة يتراءون من هم أعلى منهم في الدرجات كالكوكب الغابر في السماء فقال ﷺ: «إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم»(١).

وفي الحديث: «إن في الجنة مئة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض»(٢).

وقد ذكر ابن عباس رضي الله عنهما أن عدد درجات الجنة كثيرة جدًا وربما تكون بعدد آي القرآن فقد ورد في الحديث أنه «يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها»(٣) وعدد آيات المصحف يفوق الستة آلاف آية، هذا وقد جاء في بعض أنواع الذكر والأدعية المأثورة أن الله يجازي عليها بمئات وآلاف الدرجات في كل مرّة، فيبدو أن عدد درجات الجنة كثير جدًا يصل إلى ملايين الدرجات والله أعلم.

قال ﷺ: «من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، ورقمه (٧٠٩٣)، وصحيح مسلم، كتاب الجنة (٤ / ٢١٧٧).
(٢) رواه البخاري في صحيحه، ورقمه (٢٧٣٠).
(٣) مسند الإمام أحمد، ورقمه (٦٧٨٠) وروى نحوه الترمذي وقال حسن صحيح.

له، له الملك وله الحمد، يحي ويميت، وهو حيٌ لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، كتب له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة»(١). فكلما ذكرت هذا الدعاء في السوق ارتفعت ألف ألف درجة.

ويقول ابن القيم أنه قد يكون هناك درجات كبار متضمنة لدرجات أخر.

ولا عجب من كثرة الدرجات في الجنة فانظر إلى تفاوت الناس في طبقات المجتمع تجد تفاوتًا كبيرًا في درجات الفقر ودرجات من هم أعلى من درجة الفقر ثم متوسطي الغني، ثم درجات الغنى ثم درجات الغنى الفاحش: ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾ (الإسراء: ٢١).

أعلى الدرجات وسكانها:

ذكرنا أن الجنة درجات متفاوتة في الاتساع ومتفاوتة في النعيم كما أنها متفاوتة في العلو، وقد خص الله أولياءه الصالحين بأعلى الدرجات، وجعل أدنى الدرجات لمن هم أقل صلاحًا، وكلما ازداد المؤمن صلاحًا، ارتفعت درجته في الجنة، وذكر ابن القيم

---

(١) رواه الترمذي في سننه وقال حديث غريب وحسّنه الألباني، سنن الترمذي، كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب ما يقول إذا دخل السوق، ورقمه ٣٤٢٨ وفيه رواية أخرى ولابن ماجه وحسنهما الألباني.

رحمه الله أن النجاة من النار بعفو الله، ودخول الجنة برحمته، واقتسام الدرجات بالعمل.

فمن أدنى أهل الجنة منزلة من يدخل النار ويمكث فيها بقدر ذنوبه ثم يخرج، وهؤلاء يسميّهم أهل الجنة الجهنميين فهم دخلوا نار جهنم حتى نقوا ومحصوا من ذنوبهم ثم دخلوا الجنة فعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال: «يخرج قوم من النار بعد ما مسّهم منها سفع، فيدخلون الجنة، فيسميهم أهل الجنة الجهنميين» (١)، ولكنهم يتضرعون إلى الله أن يمحو عنهم تلك السمة فيمحوها عنهم(٢) ثم يلي هؤلاء مرتبةُ المقتصدون ولهم مسميات مختلفة وبعضهم أفضل من بعض فهم متفاوتون في الصلاح والدرجات، وقد أشار إليهم القرآن بألفاظ عدة وهي: (الأبرار، المقتصدون، أصحاب اليمين، أصحاب الميمنة، والذين خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا) فهؤلاء يسكنون الدرجات المتوسطة من الجنة.

أما الذين يسكنون الدرجات العلا من الجنة، جعلنا الله منهم، فقد أشار إليهم القرآن بلفظ (عباد الله، المتقون، المقربون، السابقون، السابق بالخيرات) وهؤلاء منهم الأنبياء ومنهم

(١) صحيح البخاري، باب صفة الجنة والنار، ورقمه ٦٤١٢ .
(٢) القرطبي، التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، ص ٤٢٩ .

السبعون ألف أو السبعمائة ألف كما ورد في بعض الأحاديث ومنهم الصالحون والصديقون والشهداء[١] فهم أيضًا متفاوتون في الدرجات.

وإن في أعلى درجات الجنة من النعيم ما لا يوصف بالنسبة لأدناها .. كيف لا وهي التي غرس الله كرامتها بيده، وخلق ما فيها من أزواج وثمرات وأشربه، ثم أطبق عليها فلم يرها أحد من خلقه، لا نبي مرسل ولا ملك مقرَّب، ثم قال لسائر الجنان كن فكانت (... حتى إن الرجل من أهل عليين ليخرج فيسير في ملكه، فلا تبقى خيمة من خيام الجنة إلا دخلها من ضوء وجهه، فيستبشرون بريحه فيقولون: واهًا لهذه الريح، هذا رجلٌ من أهل عليين قد خرج يسير في ملكه)[٢].

أما أعلى درجة في الجنة وهي التي لا تنبغي إلا لعبد واحد كما قال الصادق المصدوق عليه أفضل الصلاة والسلام وهي درجة الوسيلة وسميت بذلك لأنها قريبة من الرحمن فهي أقرب

---

(١) الشهداء منهم المقربون ومنهم المقتصدون أيضًا.

(٢) جزء من حديث قال المنذري في الترغيب والترهيب ١٧ - ٤ / ٩٣٤ - ٩٤٠ رواه ابن أبي الدنيا والطبراني والحاكم هكذا عن ابن مسعود وآخره موقوف على كعب. وأحد طرق الطبراني صحيح واللفظ له وقال الحاكم صحيح الإسناد وقال ابن القيم حديث كبير حسن، وحسّن إسناده محقق كتاب السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل ١٢٠٣ - ٢ / ٥٢٠ - ٥٢٤ .

الجنان إلى العرش. قال تعالى: ﴿يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب﴾ (الإسراء: ٥٧) فمعنى الوسيلة أي القريبة قال ﷺ: «الوسيلة درجة عند الله، ليس فوقها درجة فسلوا الله أن يؤتيني الوسيلة»(١).

وهذا يعني أن كل درجة في الجنة سوى هذه الدرجة قد تكون لعدد من أولياء الله فقد يشترك عدد من أهل الجنة في الدرجة نفسها كلٌ له جنته أو مُلكه الخاص به فيها(٢).

سور الجنة وشكلها العام:

يقول ابن القيم: «والجنة مقببة أعلاها وأوسعها ووسطها هو الفردوس وسقفه العرش»(٣).

ولعل كون الجنة مقببة يفسر كيف يكون أعلاها وأوسطها هو الفردوس، فأعلى القُبّة هو أيضًا أوسطها والله أعلم. (والجنة درجات بعضها فوق بعض وكلّما علت الجنة اتسعت فعاليها أوسع مما دونه)(٤).

والجنة مسوّرة بحائط يرى ظاهره من باطنه وباطنه من

---

(١) رواه أحمد في المسند، ورقمه (١١٥٢٨).
(٢) انظر التفاوت في النعيم بين هذه الدرجات في فقرة أنواع الجنان.
(٣) ابن القيم، حادي الأرواح، ص ٥٣.
(٤) انظر حادي الأرواح لابن القيم، ص ٥٠.

ظاهره كما هي حال الزجاج وفي الحديث: «حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وبلاطه المسك وقال لها تكلمي فقالت قد أفلح المؤمنون» فقالت الملائكة: طوباك منزل الملوك»(١).

وللحائط أبواب رئيسية عليها بوابون وخزنة ورئيسهم رضوان عليه السلام قال - تَعَالَى - ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ (الزمر: ٧٣).

وروى مسلم في صحيحه عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله : «أتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن من أنت فأقول محمد فيقول بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك»(٢).

وقد بينت الآيات اتساع الجنة أنها كعرض السماء والعرض أما الطول فالله أعلم به فلا يعلم عدد الدرجات وارتفاعها إلا هو سبحانه قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ (آل عمران: ١٣٣).

مع أننا لا نعلم اتساع السماء والأرض ولكن ذلك يدلّنا على مدى اتساعها الشاسع فإذا كان ذلك هو العرض فكيف بالطول؟

---

(١) الهيثمي، مجمع الزوائد، حديث رقم ٢٤٦٨١.
(٢) رواه مسلم في صحيحه ورقمه ٤٣٩ .

لتقف هنا وقفة تأمل قصيرة، ولنقارن حجم الجنة بما توصل إليه علم الإنسان القاصر، لننظر إلى الأرض وما حولها من كواكب وأجرام.

تبدو المجموعة الشمسية وكأنها أمر مهول أكبر من أن تحيط به تخيلاتنا، حيث يبلغ محيط الكرة الأرضية ٤٠٧٥ مليون كم ويبلغ قطر الشمس مائة ضعف قطر الأرض، وتبعد الكواكب بعضها عن بعض ملايين الكيلو مترات، فقد أرسل صاروخ إلى كوكب المشتري فبلغه بعد ثمانية عشر شهرًا، وتبعد الشمس عن كوكبنا بـ ١٥٠ مليون كيلو مترًا، كما تبعد عن كوكب المريخ بـ ٢٢٧ مليون كيلو مترًا ويبعد كوكب الزهرة عن الشمس مسافة متوسطها ١٠٨ مليون كيلو مترًا، ويبعد عطارد عنها بـ ٦٤٠ مليون كيلو مترًا، ومع ذلك فإن هذه المجموعة الشمسية ليست سوى ذرة ضئيلة إذا ما قورنت بالكون الشاسع الذي يحوي ملايين المجرات المتضمنة لملايين المجموعات الشمسية أمثال هذه[١].

إن أبعد نقطة استطاع أن يراها الإنسان تصل من ١١ - ١٥ بليون سنة ضوئية في جميع الاتجاهات حول الأرض وذلك عبر

(١) انظر دافيد ديتز، ترجمة الدكتور جمال الفندي، كل شيء عن الأقمار الصناعية وسفن الفضاء، ط ٧، ص ٩٣ - ٩٩ .

الآلات الحديثة[١]، وقد أحصى فيها العلماء مائة ألف مليون مجرّة مثل مجرتنا المعروفة بدرب التبانة فيها حوالي ٤٠٠ ألف مليون نجم كشمسنا[٢] ومن المعلوم أن علم الإنسان لا يمثل سوى نسبة ضئيلة جدًا لا تقارن بحقيقة حجم الكون والفضاء الخارجي، وهذا كله أيضًا لا يمثل شيئًا أمام حجم السموات الهائل فكيف وقد جمعت الجنة في اتساعها حجم السموات والأرض.

وقد ذكر في الحديث أن الدرجة الواحدة لو اجتمع فيها الخلق كلهم لوسعتهم. فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «في الجنة مائة درجة لو أن العالمين اجتمعوا في إحداهن لوسعتهم»[٣].

وأعلى الجنة تفجر منه البحار والأنهار فتنزل على ما دونها من الجنان ويتضح ذلك من الحديثين التاليين:

- فعن حكيم بن معاوية أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة بحر العسل وبحر الخمر وبحر اللبن وبحر الماء، ثم تنشق الأنهار بعد»[٤].

---

(٢) مجلة (National Geographic) عدد شهر أكتوبر ١٩٩٩م.
(٣) مجلة الإعجاز العلمي، عدد ٦ محرم ١٤٢١ هـ ص ٨ بتصرف.
(٤) رواه أحمد في مسند ورقمه ١٠٠٢.
(١) رواه الترمذي والدارمي والإمام أحمد وابن حبان وقال الترمذي حديث حسن صحيح وهو في سننه برقم ٢٦٢٣ وصححه الألباني في صحيح الجامع.

والحديث الذي سبق ذكره فيه: «فاسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة»[١].

(١) سبق تخريجه.

الحور العين والغلمان

وللرجال في الجنة جوار، كما أن للنساء وصيفات[١]، فأهل الجنة ملوك على رؤوسهم التيجان وحولهم صفوف الخدم وهم الولدان المخلدون الذين جاء وصفهم في الآيات باللؤلؤ المنثور لجمالهم وصفاء بشرتهم. خلقهم الله من الجنة[٢] وجعلهم على درجة رفيعة من الجمال والحسن والخُلُق، ونساء الجنة لا تحاسد بينهن ولا تباغض ولا غيرة ولا مكائد. والحور مطهرات من الأقذار متحببات إلى أزواجهن، ولكل في الجنة من الجواري والغلمان بحسب رفعته فيها وقربه من مالك الملك، فالجنان القريبة من الرحمن وهي جنان المقربين هي أكثر حورًا وغلمانًا، وفي كل يوم يفاجأ أهل الجنة بمزيد من الحور الحسان وذلك كما قال سبحانه: ﴿ لَهُم مَّا يشاءون فيها ولَدَيْنا مزيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ (ق: ٣٥)، فقد روى الإمام أحمد عن أبي سعيد رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «إن

---

(١) انظر ستان الواعظين لابن الجوزي، ص ١٤٢.

(٢) وقد اختلف في الولدان أهم مخلوقان من الجنة أم أنهم أطفال المشركين الذين ماتوا قبل سن التكليف، وذكر الألباني في الأحاديث الصحيحة أن أطفال المشركين خدم أهل الجنة، والله أعلم.

الرجل في الجنة ليتكئ في الجنة سبعين سنة قبل أن يتحوّل، ثم تأتيه امرأة تضرب على منكبيه فينظر وجهه في خدها أصفى من المرآة، وإن أدنى لؤلؤة عليها تضيء ما بين المشرق والمغرب فتسلم عليه فيرد السلام، فيسألها: من أنت؟ فتقول: أنا من المزيد، وإنه ليكون عليها سبعون حلّة أدناها مثل النعمان من طوبى، فينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك، وإن عليها من التيجان، إنّ أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب»[١]، ولكل مؤمن في الجنة زوجتان سوى الحور العين، وأهل الجنة مستون في السن فأعمار أهل الجنة ثلاث وثلاثون وهم على صورة أبيهم آدم ستون ذراعًا في السماء في عرض سبعة أذرع وهم مردٌ مكحلون[٢].

(١) رواه أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه وهو في مسند أحمد، ٣ / ٤٩٢ ورقمه ١١٤٧٢ .

(٢) انظر البخاري حديث رقم ٣٢٥٧ ومسند أحمد ٧٨٩٢ والترمذي ٢٦٠١ .

إنهم يترقبون مجيئك

عند اقتراب موعد الدخول، تتهيأ الجنة وتزخرف، وتقفز قلوب الغلمان والحور طربًا لسماع الخبر، ويتلقَّى كل غلمان صاحبهم يطوفون به فعل الولدان بالحبيب الحميم يقدم من الغيبة، يقولون أبشر قد أعد الله لك من الكرامة كذا وكذا. ويسبق غلمان من غلمانه إلى أزواجه من الحور العين فيقولون هذا فلان - باسمه في الدنيا - قد أتاكن، فيقلن ءأنتم رأيتموه؟ فيقولون: نعم، فيستخفّهنّ الفرح حتى يخرجن إلى عتبات الأبواب ينتظرن.

ويدخل المؤمن الجنة وإذا نمارق مصفوفة، وأكواب موضوعة، وزرابي مبثوثة فيتكئ على أريكة من أرائكه ويبهره بناء الجنة فينظر إليه يتأمله وإذا به قد أسس من لبنات جميلة متناسقة، فهذه خيمة من لؤلؤة، وهذا قصر لبناته الذهب ويرى غرفًا من ألوان شتى أصفر وأحمر وأخضر فيرفع بصره إلى السقف فلولا أن قدّر له أن يتحمّل ضوءه لذهب ببصره. فيقول الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله[١].

(١) يؤثر مثل ذلك عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، انظر مصنف ابن أبي شيبة، ٨ / ٦٢ - ٦٣.

أنواع الجنان

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»(١).

ولك أن تتخيل يا أخي المسلم كيف تكون الجنة إذا كانت من ذهب أو فضة كلها، إن الجاهل قد لا يعجبه هذا التشبيه لقصر نظره فيظن أنه سيعيش داخل سبيكة من ذهب، ولكن أليست أجمل جنان الدنيا هي في الأصل من التراب، آنيتها وما فيها، وبالمقارنة انظر إلى بديع صنع الله في هذه الدنيا وأصل مادته التراب من أرض مخضرة وغابات كثيفة، ومناظر خلابة، وثمار وفواكه مما لذّ وطاب، وجمال صور ابن آدم، حتى الآنية أليس الزجاج أصله من الرمل المذاب؟ أليست المعادن كلها من باطن الأرض؟ ومع ذلك فنحن مبهورون بجمال هذه الدنيا وما فيها وهي مخلوقة

---

(١) رواه البخاري ومسلم، ورقمه في البخاري ٧٢٧٨.

في الغالب من تراب لا يساوي شيئًا مع ما كان خلقه من ذهب أو فضة.

إن ما يجب أن نعلمه عن هاتين الجنتين هو:

١- أن مادتهما وكل شيء فيهما مخلوق من الذهب والفضة(١).

٢- أن ذهب الجنة وفضتها وكل شيء فيها لا يشبه بأي حال ذهب الدنيا وفضتها إلا تشابه الأسماء.

٣- أنه إذا كانت مادّة الجنة هي الذهب فما فيها مخلوق منها، وإن كانت من الفضة فما فيها من الفضة كذلك، وإن كانت بعض المخلوقات لا تدل على ذلك في المظهر فقد قال تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾﴾ (الإنسان: ١٥ - ١٦).

قال ابن عباس ﷺ بياض الفضة في صفاء الزجاج والقوارير لا تكون إلا من الزجاج فهذه الأكواب من فضة وهي مع هذا شفافة يرى ما في باطنها من ظاهرها وهذا مما لا نظير له في الدنيا(٢)، وقد يكون مثل تلك القوارير من الذهب فمن المخلوقات ما هو رقيق شفاف ومنها ما هو سميك ومنها ما هو بين بين، وقد

---

(١) وذلك للحديث السابق المتفق على صحته.
(٢) تفسير ابن كثير.

روي أن سيقان الأشجار في الجنة من ذهب ومنها ما يكون غير ذلك كالحور العين ودواب الجنة وغيرها أليست مخلوقة منها فقد خُلق الإنسان وهو لحم ودم من التراب، وقد روي أن في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوّفة كما روي أنها فيها من أصناف الجوهر كله ولا تعارض في كون أصل مادته الذهب أو الفضة، أليست المعادن والجواهر في الدنيا من باطن الأرض فقد تكون كذلك في الجنة والله أعلم.

وتختلف الجنان في نعيمها ومتاعها بحسب سكانها فانظر إلى الفرق بين المقربين وأصحاب اليمين.

المقربون	أصحاب اليمين
- ﴿فيهما عينان تجريان (٥٠)﴾ عينان جاريتان ومعنى جارية أي تجمع بين النضح والجريان فهي جارية وفواره تفوح بألوان من الطيب على دور أهل الجنة كنضح المطر.	﴿فيهما عينان نضاختان (٦٦)﴾ أي ممتلئتان فياضتان تنضح بالطيب أيضًا ولكن الجارية مع الفوران أفضل منها.
- ﴿فيهما من كُلِّ فاكهة زوجان (٥٢)﴾ لم يحدد نوع الفاكهة إشارة إلى كثرتها ومن كل منها نوعان قيل نوع معروف وآخر غريب وقيل نوع رطب وآخر يابس.	﴿فيهما فاكهةٌ ونخلٌ ورمانٌ (٦٨)﴾ تدل على أن فيهما أنواع محدودة من الفاكهة ليست بالتنوع الذي في سابقتها.
- ﴿مُتكئين على فُرُشٍ بطائنُها من إستبرقٍ وجنى الجنتين دانٍ (٥٤)﴾ الفُرش التي يجلسون ويتكئون عليها بطائنها من الديباج المذهب (هذه البطانة الداخلية) فكيف بالظاهر من الفرش، وثمارها قريبة إليهم يتناولونها كيف شاءوا وعلى أي صفة كانوا، فهي تتدلى لهم فيأخذونها قيامًا وقعودًا ومضطجعين.	﴿مُتكئين على رفرفٍ خُضرٍ وعبقريٍ حسانٍ (٧٦)﴾ متكئين على وسائد وفرش خضراء جميلة وطنافس وبسط موشاه.

المقربون	أصحاب اليمين
﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (٥٦) كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ (٥٨)﴾ نساء جميلات أكثر حسنًا وجمالاً ممن دونهن وقد قصرن أنظارهن على أزواجهن فلا يطمحن إلى غيرهم باختيارهن. وشبههم في الحسن والبياض بالياقوت والمرجان.	﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ (٧٠) حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ (٧٢)﴾ خيرات الصفات والأخلاق حسان الوجوه مجبولات على قصر أبصارهن على أزواجهن. والتي قصرت بصرها باختيارها أفضل.
– يشربون من عين التسنيم خالصة صرفًا.	تمزج لهم بشراب آخر.
– يشربون من عين الكافور خالصة صرفًا.	تمزج لهم بشراب آخر.
هذا وغير ذلك من الأشربة المتنوعة كالخمر واللبن والزنجبيل والسلسبيل. قال تعالى﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٦)﴾ (الإنسان: ٦) فهذه مزية يختص بها هؤلاء أنهم يتصرفون فيه حيث شاؤوا. في دورهم ومجالسهم ومحالهم.	ولهم أشربة كثيرة كذلك ولكن أشربة المقربين أطعم وألذ مذاقًا.

المقربـون	أصحاب اليمين
وخلاصة القول أنهم أكثر نعيمًا، وأوسع جنانًا، وأجمل نساءً، وأكثر عددًا منهن، وأطيب طعامًا وشرابًا. - وفوق ذلك فهم يرون ربهم عَزَّ وَجَلَّ في اليوم مرتين، بكرة وعشيّة. - قال تعالى في شأنهم ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ ۝﴾ أخلصوا العمل فأخلص لهم الجزاء.	يرون ربهم كل جمعة في المزيد (السوق). مزجوا العمل فمُزج لهم الجزاء.

(١) الجدول كلّه مستخلص من سورة الرحمن الآية ٤٦ - ٧٦.
وسورة الإنسان، الآية: ٥ - ١٨، وسورة المطففين: ٢٢ - ٢٨، انظر تفسير ابن كثير لهذه الآيات، وابن القيم، حادي الأرواح، الباب الثاني والعشرون والباب الثمن والأربعون.

تربة الجنة

روى أحمد والترمذي والدارمي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلنا: الجنة ما بناؤها؟ قال: لبنة من ذهب، ولبنة من فضة وملاطها المسك الأذفر[١]، وحصباؤها الدر والياقوت، وتربتها الزعفران، من يدخلها يخلد فيها، ينعم ولا ييأس، ولا يفنى شبابهم، ولا يبلى ثيابهم»[٢].

وقد وردت عدة أحاديث مجموعها يبيّن أن طين الجنة هو المسك الخالص الأبيض وترابها الزعفران وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وصخورها الكافور.

ويقول ابن القيم ما مفاده أن لا تعارض بين كون طينها المسك وترابها الزعفران فربما تكون متضمنة للنوعين المسك والزعفران، أو أن ترابها الزعفران وإذا عجن بالماء صار مسكًا، كما قيل أن حشيشها الزعفران وترابها المسك.

كما جاء في بعض الأحاديث أن أرض الجنة درمكةٌ بيضاء،

---

(١) أي طينها المسك الخالص.

(٢) رواه الدارمي في السنن ورقمه ٢٨٢٠ وذكر نحوه الألباني في الصحيحة.

وجاء أنها مرمرة بيضاء من فضّة، وجاء أنها من ذهب فقد يكون ذلك لاختلاف الجنان.

الشجر والثمار

جاء في الحديث أن غراس الجنة سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، فعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ ليلة أسرى به مرّ على إبراهيم فقال: من معك يا جبريل؟ قال: هذا محمد، فقال له إبراهيم: مُر أمتك فليكثروا من غراس الجنة، فإن تربتها طيبة وأرضها واسعة قال: وما غراس الجنة؟ قال: لا حول ولا قوة إلا بالله» (١).

وروى الترمذي بإسناد حسن عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لقيت إبراهيم ليلة أسرى بي، فقال: يا محمد أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة أرض طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر» (٢) فمن أراد أن يستكثر من الزرع فليكثر الذكر وفي الجنة أنواع شتى من النباتات ذات الرائحة الزكية والزهور

---

(١) أخرجه أحمد وأبو بكر الشافعي والطبراني ووثقه بن حبان وقال: إسناده حسن وقال الألباني لا بأس به بما قبله وهو في مسند أحمد برقم ٢٣١٦٧ .

(٢) سنن الترمذي ورقمه ٣٦٠٠٠ وذكره الألباني في صحيح الجامع .

الجميلة وذلك تفسير قوله: ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾﴾ (الروم: ١٥)، فهم بين الرياحين والنباتات الملتفة وبين أنواع الزهر[١]، وفي الحديث «سيد ريحان[٢] الجنة الحناء»[٣] كما ثبت أن في الجنة أنواعًا من الأشجار منها ما له أشباه لمسميات أشجار الدنيا ومنها ما لا يعلمه إلا الله فمن أشجارها سدرة المنتهى، وشجر الطلح قيل هو الموز وقيل أنه شجر كثير الشوك فهو في الجنة كثير الثمر جعل الله مكان كل شوكة ثمرة، وشجرة الخلد والنخل وشجرة طوبى وأشجار تضيء وأشجار للظل وأشجار للرائحة وأشجار فاكهة مختلفة، وأشجارٌ تخرج الحلل والثياب التي يلبسها أهل الجنة وجاء في وصف بعض الشجر وعظم حجمه كثير من الأحاديث منها ما جاء في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «إن في الجنة لشجرة يسير الراكب الجواد أو المضمر السريع مائة عام وما يقطعها»[٤].

وشجرة طوبى هي الشجرة التي تخرج ثياب أهل الجنة ففي مسند أحمد وصحيح بن حبان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:

---

(١) تفسير الطبري سورة الروم، الآية: ١٤ - ١٥.
(٢) الريحان كل نبات ذو رائحة زكيّة.
(٣) الهيثمي، مجمع الزوائد حديث رقم ٣٦٧٨ وصححه الألباني.
(٤) رواه البخاري في كتاب الرقائق باب صفة الجنة، ورقمه ٦٤٠٦ .

«طوبى شجرة في الجنة، مسيرة مائة عام، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها»(١) كما ورد أن سيقان أشجار الجنة من ذهب فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب»(٢) وذكر بعض المفسرين أن فروع الأشجار مرتفعة حتى لا تؤذي، فإذا أرادوا من ثمارها دنت وقربت ثم ترتفع كما كانت وكلما نزع من ثمارها شيء عاد مكانه أفضل منه، ومن ثمار الجنة التمر والرمان والعنب والتين وتتعدد الثمرة الواحدة في أصنافها وأشكالها ألا ترى ثمرة التفاح في الدنيا منها الأصفر والأحمر والأخضر والصغير الحامض والكبير الحلو، فثمار الجنة أكثر تنوعًا وأكبر حجمًا وهي لا تشبه ثمار الدنيا إلا في اسمها فقط، انظر إلى حجم النبقة في الدنيا لا يتعدى حجم حبات البندق وهو في الجنة كما ذكر في الحديث «مثل قلال هجر»(٣) فكيف بالرمان وعناقيد العنب، روي بمسند الإمام أحمد ابن حنبل عن عتبة بن عبد السلمي يقول: «جاء أعرابي إلى النبي

---

(١) رواه أحمد في المسند برقم ١١٤٣٠ وأورده الألباني في الصحيحة.

(٢) رواه الترمذي وقال حسن صحيح ورقمه في السنن ٢٥٧٧ وأورده الألباني في صحيح الجامع.

(٣) في صحيح البخاري ورقمه ٣٨٠٠ (.... ثم رفعت إلى سدرة المنتهى ونبقها مثل قلال هجر ...).

ﷺ فسأله عن الحوض وذكر الجنة ثم قال الأعرابي فيها فاكهة؟ قال:نعم: وفيها شجرة تدعى طوبي ، فذكر شيئًا ما أدري ما هو؟ فقال أي شجر أرضنا تشبه؟قال ليست تشبه شيئًا من شجر أرضك ، فقال النبي أتيت الشام؟ قال: لا،قال تشبه شجرة بالشام تدعى الجوزة تنبع على ساق واحد وينفرش أعلاها ، قال ما عظم أصلها؟قال لو ارتحلت جذعة من أبل أهلك ما أحاطت بأصلها حتى تنكسر قوتها هرمًا ، قال فيها عنب؟ قال:نعم ، قال فما عظم العنقود؟قال مسيرة ظهر للغراب لا يقع ولا يفتر ، قال فما عظم الحبّة،قال هل ذبح أبوك تيسًا من غنمه قط عظيمًا ، قال: نعم،قال فسلخ إهابه فأعطاه أمك وقال اتخذي لنا منه دلوًا؟ قال: نعم، قال الأعرابي فإن تلك الحبّة لتشبعني أنا وأهل بيتي،قال: نعم وعامة عشيرتك» [١]، وذكر المفسرون أن من تنوع الفاكهة أيضًا اليابس والرطب كالتين والمشمش فإنه في الدنيا يؤكل جافًا ورطبًا.

وثمار الجنة متوفرة على الدوام غير مقطوعة أو محدودة بمواسم دون أخرى فليس في الجنة صيف ولا شتاء ولكن جوّها

---

(١) مسند الإمام أحمد. حديث رقم ١٧٣١٣، وروى نحوه الطبراني في الكبير والأوسط والبيهقي، وابن حبان في صحيحه وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط عن رواية بن حبان صحيح لغيره.

معتدل وجميل على الدوام، وليس في ثمار الجنة ردئ وجيد فكلها لذيذة حلوة، لا عجم فيها ولا نوى ولا بذور قال ابن عباس ﷺ: ثمر الجنة أمثال القلال والدلاء، أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، وألين من الزبد ليس فيه عجم[٢][٣] وثمار الجنة دانية قريبة المنال قال تعالى: ﴿قُطُوفُهَا دانِيَةٌ ﴿٢٣﴾﴾(الحاقة: ٢٣). فأهل الجنة يتناولونها قيامًا وقعودًا ومضطجعين في أي مكان كانوا.

(١) العجم: نوى التمر وما يقوم مقامه في الثمار

(٢) ابن القيم حادي الأرواح، ص ١٢٦.

نور الجنة وأوقاتها وجوها العام

ليس في الجنة شمس ولا قمر، ولا حرٌّ ولا برد، ولا صيف ولا شتاء وليس فيها ليل ولا نهار، وإنما هي نور أبدًا، فنورها من نور الرحمن. قال بعض السلف أنه كالنور الذي يكون في الفجر إلى قبل طلوع الشمس. كما أنه ليس في الجنة نوم بل ليس هناك حاجة للنوم، فحياتهم راحة وسكينة واطمئنان. ولكن «يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحجب وإغلاق الأبواب ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب وفتح الأبواب» ذكر ذلك ابن الجوزي(١).

روي من طريق البخاري عن الزميل بن السماك أنه سمع أباه يحدث أنه لقي عبد الله بن عباس ﷺ بالمدينة بعد ما كُفّ بصره فقال (يا ابن عباس ما أرض الجنة قال مرمرة بيضاء من فضة كأنها مرآة، قلت فما نورها؟ قال: ما رأيت الساعة التي تكون فيها قبل طلوع الشمس فذلك نورها إلا أنه ليس فيها شمس ولا زمهرير)(٢).

---

(١) القرطبي، التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، ص ٤٩٥.

(٢) المنذري، الترغيب والترهيب ٤ / ٢٩٢، ورقمه ٥٦٦٤ رواه ابن أبي الدنيا موقوفًا بإسناد حسن.

قال ابن تيمية رحمه الله «والجنة ليس فيها شمس ولا قمر، ولا ليل ولا نهار، لكن تعرف البكرة من العشية بنور يظهر من قبل العرش»(١) فكأنها درجات من نور الله تنير الجنة فيعرفون بها البكرة والعشية. وبما أن الجنة ليس فيها حر ولا برد، ولا صيف ولا شتاء، فجوها ربيع دائم ونسيمها عليل أبدًا. إذا هطل فيها المطر عطر أرجاءها، ويسوق لهم السحاب ما يشتهون ويتمنون من ملاذّها وشهواتها.

وقد ثبت في صحيح مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة لسوقًا، يأتونها كل جمعة، فتهب ريح الشمال، فتحثو في وجوههم وثيابهم، فيزدادون حسنًا وجمالاً، فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم بعدنا حسنًا وجمالاً، فيقولون: وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنًا وجمالاً»(٢) قال النووي: «.. وخص ريح الجنة بالشمال، لأنها ريح المطر، وكانوا يرجون السحابة الشاميّة، وجاءت في الحديث تسمية هذه الريح المثيرة أي المحرّكة، لأنها تثير في وجوههم ما تثيره من مسك أرض الجنة وغيره من نعيمها»(٣).

---

(١) ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، ج ٥ / ٨٣.
(٢) صحيح مسلم، كتاب الجنة، باب في سوق الجنة، (٤ / ٢١٧٨) ورقمه ٢٨٣٣.
(٣) شرح النووي، ١٧ / ١٤٣.

وعن سعيد بن المسيب أنه لقي أبا هريرة رضي الله عنه: فقال: (أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة فقال سعيد: أو فيها سوق؟ قال نعم، أخبرني رسول الله ﷺ ...)[١] وذكر أنهم تغشاهم سحابة في السوق من فوقهم فتمطر عليهم طيبا لم يجدوا مثل ريحه شيئًا قط.

انظر إلى رياح الخماسين في الدنيا وما تحثوه من أتربة في عيون ووجوه العباد ومن رمال تملأ أرجاء البلاد، فإن ريح الشمال في الجنة تحثو في وجوه أهلها المسك وتطيبهم به وتملأ أرجاء الجنة طيبًا ومسكًا.

(١) الحديث طويل رواه الترمذي في السنن ٧ / ٢٦٥ ورقمه ٢٦٠٥ وابن حبان وابن ماجه وغيرهم وقال الترمذي غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وروى سويد بن عمرو عن الأوزاعي شيئًا من هذا الحديث وقال الحافظ. وعبد الحميد هو كاتب الأوزاعي مختلف فيه وبقية رواة الإسناد ثقات. وقد رواه ابن أبي الدنيا من طريق حقل بن زياد كاتب الأوزاعي أيضًا واسمه محمد وقيل عبد الله وهو ثقة ثبت احتج به وغيره عن الأوزاعي وذكر مثل هذا التعليق الأرناؤوط في جامع الأصول ١٠ / ٥١١.

المنازل والقصور

في الجنة أنواع شتى من البناء والعمران كما أن مواد البناء تتنوع، وشتان بين بناء الدنيا وبناء الآخرة.

ففي الجنة الخيام والغرف والقصور. قصور من لؤلؤ وقصور من ياقوت وقصور من زبرجد وقصور من فضة وقصور من ذهب وفيها من أصناف الجوهر كله، فالجواهر والأحجار الكريمة هي مواد البناء في الجنة. والخيام غير القصور فهي توجد على شواطئ الأنهار، وبين البساتين والأشجار، وفي الصحيح من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً فيها أهلون، يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضًا» (١).

عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أدخلت الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب، فقلت لمن هذا القصر؟ قالوا لشابّ من قريش فظننت أني أنا هو، فقلت ومن هو قالوا لعمر بن الخطاب» (٢).

---

(١) صحيح مسلم، ١٧/ ١٤١ ورقمه ٧١٠٧.

(٢) رواه أحمد ٣/ ٥٤٢، ١٧٩٠ وصححه الألباني وقال على شرط الشيخين.

وليس ببعيد على الخالق جل وعلا أن يكون بناء الجنة كله من أصناف الجواهر ففي الدنيا، اكتشف العلماء وجود كوكب من الماس الخالص على مسافة بعيدة جدًا عن الأرض فلا عجب فالكون كله من بديع خلقه سبحانه.

ومن أنواع البناء في الجنة الغرف وهي غير القصور والخيام، قال تعالى: ﴿لكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾ (الزمر: ٢٠).

وروي في صفة الغرف أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة غرفًا يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها أعدها الله لمن أطعم الطعام، وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام» (١).

ونخرج من ذلك كله أن دور الجنة كلها مبنية من الجواهر والمعادن النفيسة وبعضها ما يكون ذو جدر شفافة يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها فيكون عبد الله داخلها وكأنه وسط بساتينه وأشجاره من شفافيتها وصفائها.

وللساكن الواحد في الجنة جنتان كما أسلفنا بها العديد في هذه الدور الجميلة، قيل جنة للسكن وجنة للأهل والخدم كما هي

(١) صحيح بن حبان، كتاب البر والإحسان، باب إفشاء السلام وإطعام الطعام، ٢ / ٢٦٢ ورقمه ٥٠٩، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط إسناده قوي وروى الترمذي وأحمد بنحوه وحسنه الألباني.

حال ملوك الدنيا وقيل جنة لخوفه من ربه، وجنة لتركه شهوته في الدنيا[١]. وجميع هذه الدور مفروشة ومجهزة بحورها وغلمانها وفرشها، ويستطيع العبد في الجنة اقتناء المزيد من هذه الدور والقصور الطبري والقرطبي وابن القيم[٢] رحمهم الله أن الجنة تبنى بالذكر فإن حبس العبدَ الذكر كفت الملائكة عن البناء، فيقال لهم: ابنوا؟ فيقولون: حتى تأتينا نفقة. فقد يكثر العبد من الذكر والعمل الصالح حتى يكون له في الجنة أمثال المدن بأكملها ينفذ بصره إليها جميعًا فيرى أولها كما يرى آخرها فيرى نهاية ملكه من مكانه الذي هو فيه فليس بحاجة إلى إقامة أبراج للمراقبة أو مناظير للرؤية.

كما ثبت عن الرسول ﷺ: أن أهل الجنة لا يبولون ولا يمتخطون ولا يتغوطون فهم ليسوا بحاجة إلى مرافق ومراحيض وشبكات للمجاري وما إلى ذلك من أقذار الدنيا وليسوا بحاجة إلى عمال للنظافة. فما في الجنة كله رمز النظافة والطهارة والنقاء الخالص الذي لا خبث فيه ولا شائبة.

---

(١) انظر تفسير القرطبي، سورة الرحمن.
(٢) انظر كتاب التذكرة للقرطبي، ص ٤٨٢، والوابل الصيّب، ص ١٠٩.

رائحة الجنة

للجنة رائحة فواحة، تشم من مسافة بعيدة، لا يشمها إلا أصحاب الجنة، فيشمها المؤمن من مسيرة ألف عام، وقيل خمسمائة عام، وقيل مائة عام وقيل أربعين وقيل سبعين ولا تعارض في هذه الأقوال فيحتمل أيضًا أنه يجد العبد ريحها على حسب أعماله، فكلما كان أكثر صلاحًا كلما وجد ريحها من مسيرة أكثر بعدًا.

(وريح الجنة نوعان، ريح يوجد في الدنيا تشمه الأرواح أحيانًا لا تدركه العباد، وريح تدرك بحاسة الشم للأبدان كما تشم روائح الأزهار وغيرها، وهذا يشترك أهل الجنة في إدراكه في الآخرة من قرب وبعد. وأما في الدنيا فقد يدركه من شاء الله من أنبيائه ورسله، وهذا الذي وجده أنس بن النضر يجوز أن يكون من هذا القسم. وأن يكون من الأول. والله أعلم)[١] ويعنى بأنس بن النضر حين قال يوم أحد: واهًا لريح الجنة، إني أجده دون أحد فقاتل فقتل. والحديث في صحيح مسلم من حديث أنس.

---

(١) ابن القيم، حادي الأرواح، الباب الثاني والأربعون: ص ١٦.

الأنهار والعيون

في الجنة بحار عظيمة، وأنهار جارية، وعيون متدفقة، ففي سنن الترمذي بإسناد صحيح عن حكيم بن معاوية أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة بحر العسل، وبحر الخمر، وبحر اللبن، وبحر الماء، ثم تنشق الأنهار بعد»(١).

وأنهار الجنة تنشق من تلك البحار. قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾(محمد: ١٥). فماؤها كما قال المفسرون صاف ليس فيه كدر، ولا يأسن من طول المكث، ولبن الجنة لم يخرج من بطون الأنعام والماشية، ولا يتغير طعمه أو تنتهي مدته. كما أن عسلها صاف لا شوائب فيه ولم يخرج من بطون النحل، وخمرها لم تعصرها الرجال بأقدامها ولا تذهب العقل وتسبب الصداع في الرأس، فهي لذّة للشاربين(٢).

وأنهار الجنة تجري في غير أخدود وذلك تفسير قوله تعالى:

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر تفسير ابن كثير، تفسير الآية ١٥ من سورة محمد.

﴿وماء مسكوب (٣٢)﴾ (الواقعة: ٣١)، وتتفجرّ أنهار الجنة من أعالي الجنة إلى أسافلها حتى تصل إلى أدنى درجاتها كما في الحديث الصحيح «فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة»(١).

ومن الأنهار التي ذكرت في الأحاديث الصحيحة نهر الكوثر، وسيحان وجيحان والنيل والفرات ونهر بارق، كما ورد عن ابن عباس ﷺ أن في الجنة نهر يقال البيدج. ومن أوصاف تلك الأنهار أنها تجرى على المسك الخالص وهو طينها وحوافها قباب اللؤلؤ والياقوت وهي تجري بأمرهم في جوانب الجنة وأرجائها كيف شاؤوا. أما العيون فعين الكافور، والسلسبيل، والتسنيم(٢) وغيرها مما لا يعلمه إلا الله. وهم يفجّرونها بأنفسهم، في دورهم وبساتينهم وقصورهم كيفما شاؤوا. وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا (٦)﴾ (الإنسان: ٦).

(١) سبق تخريجه.
(٢) انظر المفاضلة بين المقربين وأصحاب اليمين في فقرة أنواع الجنان.

فرش الجنة

لكل جنة فرشها الخاص والمفاضلة بين الجنان بحسب ارتفاع الدرجات. والفرش منتشرة في القصور والحدائق والبساتين والخيام. يجلس أهل الجنة فيها على الحرير والاستبرق والديباج الموشى بالذهب والفضة. ومن أنواع الفرش السرر والزرابي والرفرف والعبقري والأرائك والنمارق.

فالعبقري هي الفرش الموشاة المطرزة، فهي والزرابي من أنواع البسط كما قيل أن الرفرف من أنواع المفارش التي تكون فوق السرر والنمارق من أنواع الوسائد التي يُتكأ عليها. قال تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ ونمارِقُ مصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وزرابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾ (الغاشية: ١٣ – ١٦). تخيل أخي المسلم أنك تدخل صالة كبيرة من أفضل صالات الفنادق الفاخرة، ألا تجد الزرابي مبثوثة والأكواب موضوعة والنمارق مصفوفة وقد فاحت رائحة العود في أرجاء المكان. فإذا كان هذا كله من متاع الدنيا الزائل الذي لا مقارنة فيه مع متاع الجنة فكيف تكون صالات

الجنة وزرابيّها ونمارقها، ووسائدها، وحريرها، واستبرقها وجاء في القرآن الكريم في وصف السرر أنها ﴿سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ (الغاشية: ١٣)، وجاء أنها ﴿سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾﴾ (الواقعة: ١٥)، فهي مرتفعة ومتراصة قال المفسرون: موضونة أي منسوجة بقضبان الذهب، مشتبكة بالدر والياقوت والزبرجد. إذا أراد العبد الجلوس تواضعت له حتى يجلس ثم ترتفع إلى ما كانت عليه[١]. وقد روي أن ارتفاعها كما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام. وقال بعض أهل العلم في تفسير ذلك أن الفرش في الدرجات وبين الدرجات كما بين السماء والأرض[٢].

وقد يعني ذلك أن هذه السرر ترتقي بصاحبها إلى حيث أراد حتى منتهى علوّ درجته فقد ورد أن ما بين الدرجة والأخرى كما بين السماء والأرض، وقد رأينا في العصر الحديث كيف ترتفع (المصاعد) بالركاب إلى أعلى الطوابق في ناطحات السحاب والأبراج العالية والله أعلم.

وهذا ما خطر على البال فكيف بما لا يخطر عليه.

---

(١) انظر تفسير القرطبي سورة الواقعة، الآية: ١٥.

(٢) الترمذي ٧ ٢٥٣ ٢٥٣٥ في حديث قال عنه أنه حسن غريب.

لباس أهل الجنة وحليهم

قال تعالى: ﴿ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق﴾ (الكهف: ٣١). وقال سبحانه وتعالى: ﴿ولباسهم فيها حرير﴾ (الحج: ٢٣)، والحرير أفضل وأنعم أنواع القماش على الإطلاق ومنه الرقيق والغليظ وهو أفضل أنواع اللباس وأجمله في الدنيا، فكيف بحرير الجنة؟ وملابس أهل الجنة منه وهي من جميع الألوان، وأفضلها اللون الأخضر، ولذلك خص بالذكر في الآية. أما حليهم فالذهب والفضة وأنواع الدر والأحجار الكريمة، يصاغ منها التيجان والأساور والخواتم وغيرها للنساء والرجال أيضًا. وقد ذكر ابن أبي الدنيا عن عطية بن كعب (أن لله ملكًا يصوغ حلي أهل الجنة من يوم خُلق إلى أن تقوم الساعة ..)[١].

أما مصادر ثياب أهل الجنة فمن أشجارها، ومنها شجرة طوبى، وذكر عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «دار المؤمن في الجنة من لؤلؤة فيها أربعون بيتًا في وسطها شجرة تنبت الحلل فيأتيها

(١) مصنف بن أبي شيبة ٨/ ٦٣ -- ٢٩٧٩٧ .

فيأخذ بأصبعه سبعين حلة ممنطقة باللؤلؤ والمرجان»(١).

ويقول ابن عباس ﷺ: (فيها شجرة فيها ثمر كأنه الرمان فإذا أراد ولي الله كسوة انحدرت إليه من غصنها فانفلقت من سبعين حلة ألوانًا بعد ألوان، ثم تنطبق فترجع كما كانت)(٢).

ولا تحسبن أخي المسلم وأختي المسلم أن كون المرأة في الجنة تلبس سبعين حلة، أنها ترزح في ملابس ثقيلة تكاد تعقيها عن المشي. يقول ابن الجوزي: حملها أخف عليها من شعرها(٣). وقيل أن الحكمة من ارتداء سبعين حلة هو زيادة في المتعة، فبصر زوجها ينفذ إلى طبقات ملابسها فيراها تارة بالأخضر الظاهر وتارة بالأصفر الذي دونه وتارة بالأحمر الذي دونه وهكذا فيراها في الجلسة الواحدة في كل لحظة برداء حتى يستطيع أن ينفذ بصره إلى ما دون ذلك فيرى مخ ساقها من وراء العظم وذلك أمتع في النظر وأبهج للنفس، وأذهب للملل والله أعلم.

---

(١) مصنف بن أبي شيبة ٨/ ٧٠ - ٢٩٨٢٨ وقال رواه ابن أبي الدنيا موقوفًا وذكر نحوه المنذري في الترغيب والترهيب.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا موقوفًا بإسناد حسن المنذري، الترغيب والترهيب ٤/ ٢٩٢ - ٥٦٦٤.

(٣) انظر بستان الواعظين ورياض السامعين لابن الجوزي، ص ١٣٥.

طعام أهل الجنة وشرابهم وأوانيهم

عند دخول أهل الجنة الجنة، يغتسلون من عين بابها ويشربون من أخرى فتسري في أبدانهم نضرة النعيم، وعندها يدخلون الجنة عُراة فيُكسون من شجرة طوبى، ثم يضيِّفهم الربّ جل وعلا بقرى الضيف، كما يضيّف الكريم أضيافه بذبح الذبائح، ونحر الجزور، فينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها وحوت من الجنة يأكل من زيادة كبده السبعون ألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب. ويُصنع من ذلك اللحم إدامهم وتكون خبزتهم الأرض فقد ورد في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يكفأ أحدكم خبزته في السفر لأهل الجنة»(١).

فذلك أول طعام يأكلونه، أما طعامهم بعد ذلك وشرابهم فمن أنواع اللحوم والثمار والفواكه فمن لحوم الجنة الثور والشاة والجمل والحوت وأصناف الطيور ودواب الجنة وطيورها مخلوقة من الجنة رتعت في جوانبها وتربت على خضرتها وأعشابها فكيف

(١) صحيح البخاري، حديث رقم ٦٣٧٣.

يكون مذاقها بالنظر إلى التي خلقت من تراب وتربت على أعشاب الأرض؟ وكيف تكون أحجامها؟ فقد ورد أن طيور الجنة أمثال الإبل فكيف بثيرانها وجمالها؟

ومن طعامهم أنواع الثمار والفاكهة فمنها الرمان والتمر والرطب وغيره لا يُحصى، قال تعالى: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا . . .﴾ (البقرة: ٢٥).

اختلف المفسرون في تفسير هذه الآية ومن أجمل ما قرأت قول من قال إنه ليس من المعقول أن يكون شكل فاكهة الجنة كفاكهة الدنيا ففاكهة الآخرة لا نظير لها. وكما أن أهل الدنيا لم يذوقوا جميع فواكه الدنيا حتى يقولوا هذا الذي رزقنا من قبل، بل إن بعض البلاد فيها ما لا يعرف أهلها فاكهة البلاد الأخرى، وليس من المعقول أنهم كلما رأو الفاكهة تشبه فاكهة الدنيا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل ويستمرون على ذلك أبد الآبدين. إنما المقصود أن أوله في الحسن والطعم مثل آخره. ففي الدنيا نقول دائمًا (أول قطفة هي ألذ قطفة) ثم تذوق بعض الفاكهة فتقول هذا مالح وهذا مُر وهذا حامض أما فاكهة الجنة فكما يقول الحسن: (خيار كله) لا رَذْل فيه. فسر طائفة من الصحابة ﷺ منهم ابن مسعود وابن عباس قوله ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ أنه متشابه في اللون والمرأى

فالقطفة الأولى تشبه القطفة الثانية ولكن الطعم يختلف فيطوف عليهم الولدان بالفاكهة فيأكلون ثم يأتون بمثلها بعد ذلك فيقولون: هذا الذي جئتمونا به آنفًا فيقول الخدم كلوا فإن اللون واحد والطعم يختلف(١).

ومن شراب أهل الجنة الخمر واللبن والعسل والماء والزنجبيل والكافور ومنه البارد والحار. وشرابهم في الكؤوس مقدّر بسابق علم الله على قدر رغبتهم فلا يفيض ولا ينقص عن لذّتهم، واقرأ قوله تعالى: ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ (الإنسان: ١٦).

وأهل الجنة لا يأكلون من جوع ولا يشربون من عطش وإنما غاية أكلهم وشرابهم التلذذ والمتعة.

والمعروف عن الدنيا أنه كلما تقدم العمر بالشيء فيها كلما تقادم وذبُل وتغيّر للأسوأ، أما الجنة فكلما تقدم العمر بالشيء فيها تجدد حاله للأحسن، فالحور والنساء والرجال كل يوم يزدادون جمالاً والفاكهة والثمار تزيد في طعمها لذةً وحسنًا.

ويأكل أهل الجنة ويشربون في أواني من الذهب والفضّة منها الرقيق الشفاف كالكؤوس والأباريق ومنها الصحاف والآنية وما إلى ذلك.

---

(١) انظر حادي الأرواح، الباب الخامس والأربعون، ص ١٢٣ - ١٢٦.

كيف يتزاورون وما هي وسائل مواصلاتهم

ورد أن أهل الجنة يركبون على النجائب وهي النوق. كما ورد أنهم يركبون على الخيل المسرجة من الذهب والفضة. وورد أن السُّرر التي يجلسون عليها تتحرك فيقترب سرير الرجل من سرير أخيه فيجتمعان ويتحدثان. وفي الحديث: «في الجنة شجرة يخرج من أعلاها الحلل ومن أسفلها خيل من ذهب مسرجة ملجمة بالدر والياقوت، لا تروث ولا تبول، لها أجنحة خطوها مدّ بصرها فيركبها أهل الجنة فتطير بهم حيث شاؤوا ...»[١].

وأهل الجنة يزورون ويزارون ومن أنواع زيارتهم:

١- أفضل زيارة لهم هي زيارة ربهم عز وجل فيريهم وجهه ويسمعهم كلامه، قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ (يونس: ٢٦)، وقد فسر ذلك رسول الله ﷺ في صحيح مسلم بأن الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجهه الكريم[٢]. فالمؤمنون

(١) المنذري، الترغيب والترهيب، ٤/ ٣١٧ - ٥٧٣٥ .
(٢) صحيح مسلم، ٣/ ١٥ - ٤٠٣ - ٤٠٤.

يزورون ربهم كل جمعة وهو يوم المزيد ومنهم من يزوره الله عز وجل بكرة وعشيّة وهذا أعلاهم منزلة.

٢- زيارة السوق: ففي الجنة سوق يذهب أهل الجنة إليها كل جمعة تقدر بمقدار أيام الدنيا. وهي سوق لا بيع فيها ولا شراء، ولكن يأخذ المؤمن منها ما يريد كرامة من الله عز وجل، حتى إن أهل الجنان العليا إذا اجتمعوا هناك مع أهل الجنان السفلى فيرى الرجل صاحبه من الجنة العليا في حلة فيروعه جمالها، فلا يلبث أن يرى على نفسه أحسن منها لأنه لا ينبغي لأحد أن يحزن في الجنة.

وفي السوق يرى المؤمنون ربهم عز وجل كل جمعة. حيث يبرز لهم عرشه، ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة. وجميع أهل الجنة يرون الله عز وجل لا يضامون في رؤيته كما يرون القمر ليلة البدر(١).

٣- زيارة بعضهم بعضًا: يزور المؤمنون بعضهم بعضًا. قال تعالى: ﴿إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ (الحجر: ٤٧) فيتذاكرون ما كان بينهم في الدنيا. يزور الأعلى منهم الأسفل وينظرون إلى أهل النار من كوى أي فتحات تطل عليهم فيحمدون الله أن نجاهم منها(٢).

---

(١) انظر صحيح مسلم، حديث طويل في باب معرفة طريق الرؤية ٣/ ١٦ - ٤٠٥.

(٢) انظر تفسير ابن كثير قوله تعالى في سورة الصافات: ﴿فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون . فاطلع فرآه في سواء الجحيم﴾

وماذا يسمعون..[١]

١- يسمع أهل الجنة كلام ربهم جلّ وعلا يحدثهم ويتكلم فيهم وهو أسمى وأشرف سماع ينصتون إليه.

٢- يسمعون الحور العين يغنين قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ (الروم: ١٥)، قال بعض المفسرين: الحبرة هو اللذة والسماع. وفي الحديث: «إن في الجنة لمجتمعًا للحور العين يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلها ..» يغنين لأزواجهن ويغنين على شواطئ الأنهار.

٣- سماع ألحان الشجر: يُروى أن رجلاً من قريش قال لابن شهاب هل في الجنة سماع، فإنه حبب إليَّ السماع، فقال أي والذي نفسي بيده إن في الجنة لشجرًا حملُه اللؤلؤ والزبرجد تحته جوار ناهدات يتغنين بألوانٍ يقلن نحن الناعمات فلا نبأس ونحن الخالدات فلا نموت فإذا سمع ذلك الشجر صفق بعضه

---

(١) انظر حادي الأرواح، الباب السابع والخمسون للاستزادة وانظر تفسير القرطبي، سورة الروم الآية ١٥، وما أوردته في هذه الفقرة من أثر لم أجد له توثيقًا في الأصول فذكرته من باب الترغيب في الجنة. .

بعضًا فأجبن الحواري، فلا ندري أأصوات الحواري أحسن أم أصوات الشجر.

٤- قال الأوزاعي إن أهل الجنة يسمعون صوت إسرافيل يسبح بصوت ما سمعت الخلائق أحسن منه.

٥- كما قيل أن داود عليه السلام ينصب له منبر رفيع في الجنة فيسبح الله عليه بأعذب الأصوات.

٦- يسمع أهل الجنة أصوات الملائكة: فعن عبد الله بن المبارك عن مالك بن أنس: «إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ أين الذين كانوا ينزهون أسماعهم وأنفسهم عن مجالس اللهو ومزامير الشيطان أسكنوهم رياض المسك، ثم يقول للملائكة اسمعوهم تمجيدي وتحميدي»[١].

[١] رواه نعيم بن حماد على الزهد لابن المبارك ٤٣ ص ١٢ وروى نحوه الديلمي في جامع الأحاديث والمراسيل ١ / ٣٣٩ - ٢٤٨١.

نعيم لا ينفد

هلمّ أخي الكريم - نتفيّأ ظلال هذه الآيات، ونُرسل النظر والفكر خلف تلك الحروف والكلمات لتكشف لنا ما وراءها من كنوز ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾﴾ (الزخرف: ٧١).

قد يمرّ الغني المترف على هذه الآية مرور الكرام، ويظن أن الله قد حقق له ذلك في الدنيا، ولكن لو أنه تمعّن في مرادها لعرف أن شهوته مشوبة بالتنغيص، ولذته ممزوجة بالمرارة، وما تلبث نفسه أن تتشبّع فلا يستطيع التمادي في تحقيق شهواته، فهناك عوائق تحول دون تحقيق اللذات من هموم ومشاكل وضغوط نفسية ومادية، فليس باستطاعة أحد في الدنيا ولو آتاه الله مال قارون، أن يحقق ما تشتهيه نفسه وتلذّ عينه طوال حياته وإن كان صحيح الجسم معافى. فكل نوع من أنواع النعيم في الدنيا له حد نهاية يسمى حد التشبع مما يجعل الاستزادة منه بعد ذلك تعتبر إهدارًا لا فائدة فيه، فلو عرض على فرد جائع صنوف الطعام فإنه سيتناول منه ما يُشعره بالشبع والكفاية، فلن يستطيع أن يتناول

أكثر ولو كانت شهوته للطعام مستمرة لتنوّع أصنافه واختلاف طعومه، فلن يحقق ما يشتهي إلا لفترة محدودة، وكذلك لو عُرض على محبّ السّفر أجمل بقاع الدنيا وهو عائد للتو متعب من وعثاء الطريق فإنه ولو كان يشتهي الذهاب إلى ذلك المكان فإنه لن يستطيع، وكذلك الأمر لمن يشتهي المال فإنه سيبلغ حدًا معينًا للانتفاع به وقضاء شهواته ثم يتحول إلى أرقام لا طائل من ورائها، وكذلك النساء وجميع الشهوات، فإن هناك حدًا لا يستطيع بعده الفرد أن يجني فائدة تذكر، بل قد تعود عليه الاستزادة بالخسارة المادّية والصحية والأخروية[١] بل ولن يستطيع الاسترسال في شهوته، فإن الشهوة تجاه الشيء تكون شديدة في بداية الأمر، حتى إذا ذاقه خفت حدة شهوته شيئًا فشيئًا وربما تنقطع بعد ذلك أرأيت إذا ذهبت إلى موائد الأفراح والحفلات، ووجدت مئات الأصناف من الطعام الشهي الذي يسيل له اللعاب، وتلذ لرؤيته العين، فتملأ صحنك من هذا، وهذا، وتنظر إلى ذلك

---

(١) لأن الاستزادة من الملذات وإن كانت مباحة تعرّض الإنسان لطول الحساب فإن الفقراء يسبقون الأغنياء بخمسمائة عام كما في الحديث الذي ذكره الالباني في صحيح الجامع ٨٠٧٦ كما أن الانشغال بالمباحات من أسباب نقصان درجة المؤمن في الجنة كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه طب القلوب، ص ٣٨٢ وأي خسارة أكبر من هذه.

فتشتهيه فتضع في صحنك منه وترى ذلك فيغريك منظره فتضع منه قليلاً حتى إذا امتلأ صحنك وغدا كجبلٍ عظيم وضعته أمامك وحسبت أنك ستأتي على ما جمعت فيه من أطايب الطعام، حتى إذا بدأت في تناوله وجدت عما قليل أن امتلأ جوفك حال دون شهوتك، فتدعه ولم تأت إلا على اليسير منه، ومع ذلك قد تشعر بالامتلاء وتعان من البطنة مما يؤرق عليك نومك فتتقلب على فراشك تعاني من أضرار شهوتك.

أما في الجنة فإن للفرد فيها ما تشتهيه نفسه وتلذ عينه على الدوام، فلو قُدّم للمؤمن فيها مائدة عليها صنوف الطعام فإنه يجد لذته في البداية حتى النهاية ولو قُدّمت له صنوف أخرى فإنه يجد لذّتها كما لو أنه لم يأكل ولا يشعر بالامتلاء أو التخمة التي تفسد عليه اللذّة، وكذلك في جميع الشهوات فإنها مستمرّة دائمة لا تنقطع، ومما يزيد في النعيم أنه كلما اشتهى وجد ما يشتهيه وكلما رغب في شيء تحققت رغبته أو تمنى تحققت أمنيته.

فلذّة الدنيا تختلف عن لذة الآخرة من خمسة أوجه:

١- الشهوة تجاه المشتهى مستمرة لا تنقطع بينما هي في الدنيا مقطوعة.

٢- فاعلية الشهوة وقوتها بنفس الدرجة من أول الاستمتاع بالمشتهى إلى نهايته مع إمكانية إعادته وتكراره بينما هي في الدنيا تكون شديدة في بداية الأمر ثم تخفّ حدّتها شيئًا فشيئًا.

٣- كل شهوة في الجنة محققة وممكنة، بخلاف الدنيا (فما كل ما يتمنى المرء يدركه).

ليس لتحقيق لذات الجنة أي تكلفة أو خسارة أو أضرار من أي نوع، أما في الدنيا فلا بد من بذل التكلفة، ولابد من الخسارة إما مادية أو صحية أو غير ذلك بنسب متباينة.

ونستطيع أن نرى التباين بين لذة الدنيا ولذة الآخرة تقريبيًا في الشكلين التاليين:

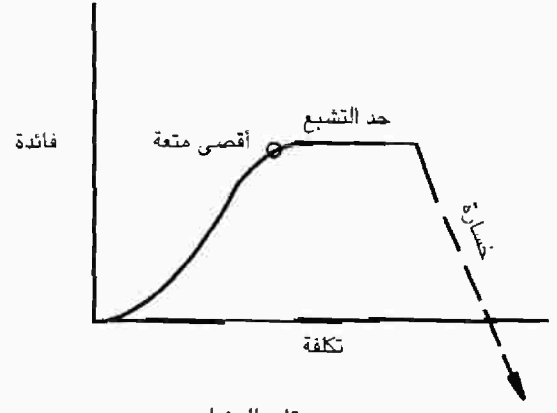

متاع الدنيا

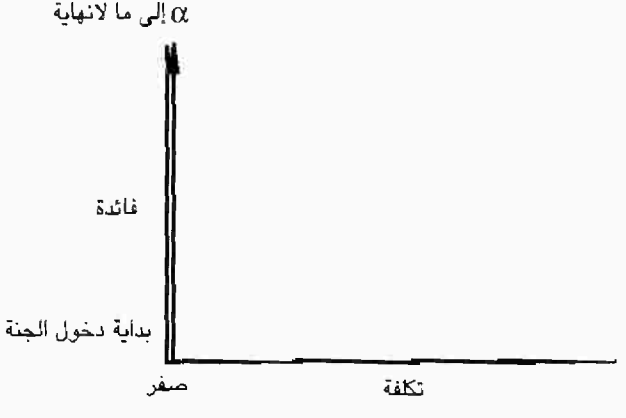

متاع الجنة

واعلم أن لذة الدنيا إنما جعلت لتحقيق النفع بها، فلذة المنكح لاستمرار النسل وصحة البدن ولذة الطعام والشراب لحاجة الجسم وصحته، فإن لم تكن اللذة في المأكل أو المنكح أو غيره، لم يمارسه الإنسان وهذا يهدد حياته ووجوده على الأرض. يقول الإمام ابن الجوزي رحمه الله «هذه الأشياء إنما خلقت إعانة للبدن على قطع مراحل الدنيا، ولم تخلق لنفس الالتذاذ، وإنما جعلت اللذة فيها كالحيلة في إيصال النفع بها»(١).

أما لذة الجنة فهي اللذة الحقيقية التي جعلت لذاتها لمجرد الاستمتاع بها بدون أي منغصات، نسأل الله العظيم من فضله.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٢٣)﴾ (المطففين: ٢٢ – ٢٣).

إن كلمة نعيم هنا تحمل معنى واسع المدلول، نعيم مطلق لا نهاية له، نعيم متجدد ينعم به المؤمن في الجنة فيجد أثره على كل حاسّة من حواسه جزاءً له على حفظها في الدنيا، انظر إلى قوله تعالى: ﴿وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٢١)﴾ (الواقعة: ٢٠ – ٢١)، إن متعة تذوق الطعام اللذيذ متعة من أفضل المتع لذلك تعددت الإشارة إليها في القرآن بأساليب مختلفة، وتعابير مشوّقة،

فأي متعة أكثر من أن يتربع الإنسان على مائدة عليها أطايب الطعام والشراب وهو يعلم أنه مهما أكل فلن يؤثر ذلك سلبًا عليه؛ فلن تصيبه تخمة، أو يقعده مرض، أو يثقله وزن.

ونعمة النظر لا تقل متعة وترفًا عن سابقتها فقوله تعالى: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾(المطففين: ٢٣). توحي للسامع بمدى صفاء أهل الجنة النفسي والجسدي، فلا يشغلهم شاغل يحول دون تمتعهم بالنظر، فلا كد ولا سعي وراء الرزق ولا هموم ولا أنكاد، فهم قوم مرفّهون لا عمل لهم، ولا يحتاجون إلى عمل، فإن شغلهم شيء فهو المتاع وإطلاق النظر بلا حدود. بالأمس في سجن الدنيا كانت لهم حدود وضوابط ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾(النور: ٣٠). مع أن النظر هناك كان مشتملاً على ما يسر وما يسوء، فقد يُرغم الفرد على رؤية القبيح الذميم، ورؤية المآسي التي تقشعر لها الأبدان، أما اليوم فله أن يرسل نظره كيف شاء وأين ذهب ولن يرى إلا ما يسره ويبهجه فليس هناك ما يوجب غض البصر، وقد زاده الله نعيمًا إذ أنفذ بصره إلى جميع أملاكه، يرى أقصاها كما يرى أدناها فليس بحاجة إلى اعتلاء

أبراج أو استخدام مناظير، مع أن ملكه يومئذ يفوق حجم الكرة الأرضية بأسرها، فإن أدنى أهل الجنة منزلة له مثل الدنيا وعشرة أمثالها كما جاء في الصحيح[١].

ومن متعة النظر ما ذكر آنفًا في باب لباس أهل الجنة من أن العبد ينظر إلى نسائه في الجنة وينفذ بصره من خلال حللهن السبعين فيرى زوجته تُقبل بحلّة وتدبر بأخرى، حتى ينفذ بصره إلى مخ ساقها من وراء العظم إن شاء، ويظهر هنا ما لنظر المؤمن في الجنة من قدرة عجيبة ترى للملايين الأميال بعدًا، بالجودة ذاتها التي ترى بها الأشياء القريبة.

كما أن له ميزة التحكم في مقدار نفاذ بصره ونسبة إرساله في الصور التي أمامه فسبحان الخالق العظيم.

ألا وإن أمتع النظر في الجنة وألذه إلى النفس هو النظر إلى وجهه الكريم. نسأل الله العظيم من فضله.

ونعمة السمع وإمتاع الأذن بما تطرب له القلوب وتبهج له الأسماع من نعم أهل الجنة التي لا تحصى، فلا تخرق آذانهم

(١) انظر صحيح مسلم، كتاب الإيمان، ١ / ١٧٣ ورقمه ١٨٦ .

أصوات مفزعة، أو آهات محزنة، أو صرخات مخيفة مما يخلع القلوب ويُسقم الأبدان بل كلها طرب وحبور واطمئنان وقد ذكر ذلك مفصلاً في باب سماع أهل الجنة.

ولا تسل أخي الكريم عن زهور الجنة الفواحة ونعمة الشمّ، وعن أنهارها الفواره بعبير المسك والعنبر وشرابها الذي تجد في نهايته رائحة وطعم المسك وفاكهة الجنة التي يشمّها المرء فينعم بعبق ريحها قبل أن يطعمها، وفوق ذلك رياح الجنة التي تهب على سكانها بنسائم عطره، محملة بالطيب. حتى أبدانهم تفوح منها روائح المسك فلا عرق منتن، ولا فضلة مؤذية.

ولا تسل عن حاسة اللمس وهي حاسة مرهفة يجد متاعها المؤمن بين نسائه وزوجاته. فمع كثرة اللقاء في الدنيا تزول دقة هذه الحاسة فلا يكاد يجد لذتها إلاّ مع كل جديد، ولذلك كان أول أيام النكاح أحلاها، أما نعيم أهل الجنة فمتجدد أبدًا؛ ففي كل يوم يرى المؤمن زوجته أو تراه كأنه يراها وكأنها تراه ليلة العرس فأيام الجنة أعراس متتالية ليس للذّتها حد، ولا لا نقضائها منتهى.

وهناك نعيم آخر سابغٌ عام على البدن بأكمله روحًا وجسدًا

ألا وهو النعيم النفسي[١]، فما أعظمه من نعيم، وما أجله من منعم، وما أحكمه وأعدله.

(١) انظر فقرة النعيم النفسي لأهل الجنة في الصفحة التالية

النعيم النفسي لأهل الجنة

لو لم يكن في الجنة من نعيم إلا صفاء المعيشة وخلوها من الأنكاد والأكدار لكفى. والله لو جعلنا الله في صحراء قاحلة وكفانا أقواتنا ووهبنا فيها السعادة النفسية والصفاء الروحي وحمانا من الكوارث والمصائب لكفى بها سعادة، فكيف بك وأنت في رياضٍ وجنان ونعيم لا يخطر على البال والوجدان.

فنعيم الجنة لا يشوبه بؤس ولا حزن، ولا يخالطه تعب ولا نصب ونعيم الجنة لا يشوبه خوف من المستقبل أو ما تخبئه الأيام، ولا يؤرقه قلق على المستوى المعيشي والخوف من الفقر.

وليس في الجنة ملل ولا سآمة، فكل يوم تتغير حياتهم وصورهم وجنانهم إلى أفضل مما كانت عليه.

وليس فيها تحاسد ولا تباغض ولا غش ولا نجش قال تعالى: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين ﴿٤٧﴾﴾ (الحجر: ٤٧).

وليس فيها الأدواء والأمراض فلا خوف من (فيروس أو مكروب) أو وباء، فهم في صحّة ونشاط دائم لا يسقمون ولا يهرمون.

نعيم خالص، حياة هنيئة، عيش رغيد أبد الآبدين. ويسقط عن أهل الجنة التكليف فلا عبادة في الجنة، إنما يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس[١].

يمتعون فيها أنظارهم برؤية الرحمن جل وعلا، فيُسدل عليهم رحماته ونعمه وهداياه كل يوم. فأين المستثمرون، أين المستثمرون، إنني أدعوهم ونفسي إلى الاستثمار الأمثل، إلى الربح الأوفر، إلى النعيم الأبدي.

وختامًا أخي الكريم هذه هي عوائد الاستثمار التي سوف تجنيها إنها الجنة التي لن تستطيع أن تصل إليها أحلامك ولن تراها خيالاتك ولن تدركها أفكارك لأن جمالها الباهر فوق مستوى التصوّر البشري.

نسأل الله العظيم، رب العرش العظيم أن يجعلنا ممن وحده فنجا، وأطاعه ففاز، وعبده فأحبه وقربه.

اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) انظر صحيح مسلم، ٤ / ١٩ - ٢١٨١ .